Afro-Asian Journal of Scientific Research (AAJSR)
المجلة الأفروآسيوية للبحث العلمي
E-ISSN: 2959-6505
Volume 3, Issue 4, 2025
Page No: 231-241
Website: https://aajsr.com/index.php/aajsr/index
SJIFactor 2024: 5.028 ISI 2025: 0.915 معامل التأثير العربي (AIF) 2025: 0.76

The Methodology of Imam al-Ubbi in Interpreting the Divine Attributes (Sifat Khabariyya) through His Commentary on Sahih Muslim Entitled: Ikmal Ikmal al-Mu'allim

Akram Mohammed khalid Abdul Rahim*
Department of Islamic Studies, Faculty of Arts, Omar Al-Mukhtar University,
Al-bayda, Libya

منهج الإمام الأُبي في الصفات الخبرية من خلال شرحه لصحيح مسلم المسمى: إكمال إكمال المعلم

أكرم محمد خالد عبدالرحيم*
قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة عمر المختار، البيضاء، ليبيا

*Corresponding author: albyakrmbwkhald@gmail.com

Received: July 15, 2025	Accepted: November 15, 2025	Published: November 25, 2025

Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Abstract:
This study investigates the creedal methodology of Imam Al-Ubayy al-Mālikī (d. 827 AH) concerning the Divine Descriptive Attributes (Sifāt Khabariyya) within his commentary, Ikmāl Ikmāl al-Muʿallim. Through an analytical survey of key attributes (Descent, Hand, etc.), the research determines that Al-Ubayy, influenced by the Ashʿarī school prevalent in his era, primarily adopted the methods of Tafwīd (delegation) and Ta'wīl (allegorical interpretation). His approach often favoured symbolic interpretation to harmonize the textual references with the theological concept of divine transcendence (Tanzīh).

Keywords: Al-Imam Al-Ubbi, Attributive/Narrative Attributes, Sharh Sahih Muslim, Tafwid and Ta'wil, Ash'ari Creed.

الملخص:
يهدف هذا البحث إلى الكشف عن المنهج العقدي الذي سلكه الإمام محمد بن خليفة الأُبي الوشتاني المالكي (ت 827 هـ) في التعامل مع نصوص الصفات الخبرية الواردة في الأحاديث النبوية، وذلك من خلال دراسة تحليلية مقارنة لشرحه "إكمال إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم". اعتمد البحث على المنهجين الاستقرائي والتحليلي، حيث تم استقراء مواضع الصفات الذاتية والفعلية الخبرية (كالنزول، والضحك، واليد، والقدم) في الشرح، وتحليل عبارات الأُبي لتحديد مسلكه، وتوصل البحث إلى أن الإمام الأُبي، بصفته أحد شُرَّاح الحديث المتأخرين المنتسبين للمدرسة المالكية التي غلب عليها المنهج الأشعري، قد سار في الغالب على طريقتي التفويض والتأويل عند معالجته لهذه النصوص، وكان يميل إلى اللجوء إلى التأويل الرمزي أو المجازي لتلك الصفات، وذلك في إطار جهده التوفيقي بين ظاهر النص وضرورات التنزيه العقلي كما يراها أهل الكلام.

الكلمات المفتاحية: الإمام الأُبي، الصفات الخبرية، شرح صحيح مسلم، التفويض والتأويل، العقيدة الأشعرية.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الإمام محمد بن خليفة الأُبي الوشتاني المالكي (ت 827 هـ) يُعدّ أحد أبرز شُرَّاح صحيح مسلم المتأخرين، بكتابه "إكمال إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم"، ونصوص الصفات الخبرية في كتب السنة تُشكّل أحد أهم وأدقّ أبواب العقيدة

الإسلامية، وقد تباينت مناهج العلماء في التعامل معها، خاصة بعد شيوع المناهج الكلامية. يهدف هذا البحث إلى دراسة منهج الإمام الأُبي في التعامل مع هذه النصوص، من خلال جمع ودراسة وتحليل المواضع التي تناول فيها صفات الله تعالى التي وردت في الأحاديث الصحيحة كـ (النزول، الضحك، اليد، القدم، ونحوها).

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذا البحث فيما يلي:

1. تسليط الضوء على منهج متأخر لأحد كبار علماء المالكية في شرح الحديث، يمثل مرحلةً هامة في تاريخ التعامل مع نصوص الصفات بعد استقرار المذهب الأشعري.
2. يُعدّ شرح الأُبي مصدرًا علميًا مرجعيًا، ودراسة منهجه العقدي تُسهم في فهم التطور الفكري للمدرسة المالكية في شمال إفريقيا.
3. تحديد موقع الأُبي بين منهجي السلف (الإثبات والتفويض) والخلف (التأويل)، وما إذا كان قد اتبع المازري أو النووي أو كان له اجتهاد خاص.

أسباب اختيار الموضوع:

1. لم يُفرد منهج الأُبي العقدي في هذا الباب بدراسة مستقلة ومعمقة بشكل كافٍ.
2. "إكمال إكمال المعلم" من أهم الشروح الجامعة لصحيح مسلم، مما يستدعي دراسة منهجه في أصول الاعتقاد.
3. بيان منهج الأُبي في الصفات وتمييزه عن مناهج شُرَّاح مسلم الآخرين الذين نقل عنهم، لا سيما المازري والنووي.

إشكالية البحث:

- ما هو المنهج الذي اعتمده الإمام الأُبي في التعامل مع نصوص الصفات الخبرية الواردة في صحيح مسلم، وهل كان منهجه تفويضياً، تأويلياً، أم إثباتياً، وما مدى تأثره بشروحات من سبقه؟

تتفرع عن هذه الإشكالية الأسئلة التالية:

1. ما هي أبرز نصوص الصفات الخبرية التي تناولها الأُبي في شرحه؟
2. هل التزم الأُبي بمنهج واحد في جميع نصوص الصفات، أم تباينت طريقته (بين التفويض والتأويل)؟
3. ما مدى تأثر الأُبي بمنهج الإمام المازري والإمام النووي في هذا الباب؟
4. هل قدّم الأُبي حججاً أو تعليلات كلامية عند معالجته لهذه النصوص؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق ما يلي:

1. جمع واستقراء نصوص الصفات الخبرية التي تعرض لها الإمام الأُبي في شرحه لصحيح مسلم.
2. تحليل عباراته في تلك النصوص للوقوف على منهجه العقدي.
3. تحديد المسلك الذي سلكه الأُبي في التعامل مع هذه الصفات (إثبات، تفويض، تأويل).
4. تقديم خلاصة واضحة لمنهج الإمام الأُبي في باب الأسماء والصفات.

منهجية البحث:

سيعتمد البحث على المنهجية التالية:

- **المنهج الاستقرائي:** من خلال استقراء شرح الإمام الأُبي "إكمال إكمال المعلم" لاستخراج جميع المواضع التي عالج فيها نصوص الصفات الخبرية.
- **المنهج التحليلي النقدي:** من خلال تحليل عبارات الإمام الأُبي ومصطلحاته، ومقارنتها بمنهج السلف الصالح.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المبحث الأول: التعريف بالإمام الأُبي، والتعريف بكتابه "إكمال الإكمال:

المطلب الأول: التعريف بالإمام الأُبي: (اسمه ونسبه، وعصره، وشيوخه، وتلاميذه، وثناء العلماء، ومذهبه، ومؤلفاته، ووفاته).

المطلب الثاني: التعريف بكتاب "إكمال الإكمال" ("المُعْلِم" للمازري و"إكماله" للقاضي عياض-"إكمال إكمال المعلم" للإمام الأُبي)

المبحث الثاني: مفهوم الصفات الخبرية، ومنهج الأُبي في الصفات الذاتية الخبرية

تمهيد: مفهوم الصفات الخبرية وموقف السلف منها.

المطلب الأول: منهج الأُبي في الصفات الذاتية الخبرية.

المطلب الثاني: منهج الأُبي في الصفات الفعلية الخبرية.

الخاتمة:

وفيها أهم النتائج والتوصيات.

تمهيد: التعريف بالإمام الأبي وكتابه "إكمال إكمال المعلم"

يسعى هذا المبحث إلى تقديم دراسة وافية للإمام الأبي وكتابه "إكمال إكمال المعلم". يتناول البحث في البداية السيرة الذاتية للإمام الأبي ومنهجه العلمي. ثم ينتقل لدراسة كتابه الذي يُعد من أهم شروح صحيح مسلم، مُسلطًا الضوء على أهمية الشرح، ومنهجه المتبع فيه، والمصادر التي اعتمد عليها.

المطلب الأول: التعريف بالإمام الأبي: اسمه ونسبه، وعصره، وشيوخه، وتلاميذه:

هو أبو عبد الله محمد بن خِلْفة بن عمر التونسي الوشتاتي الأبي. على الرغم من اختلاف المصادر في ذكر اسم والد الإمام الأبي (بين "خِلْفة" و"خلف" و"خليفة")، فإن الراجح هو "خِلْفة(1)."

الأُبّيّ: يُنسب إلى "أُبّة"، وهي قرية تقع في الشمال الغربي من تونس(2). وُصفت بأنها مدينة إفريقية تبعد عن القيروان ثلاثة أيام، وتتميز بكثرة فواكهها وإنبات الزعفران(3). الوشتاتي: يُنسب إلى قبيلة "وشتاتة" البربرية التي تستوطن تونس(4).

التونسي: يُنسب إلى مدينة تونس، حيث استقر فيها وطلب العلم وتلقاه(5).

ولد الإمام الأبي وعاش في عصر الدولة الحفصية التي قامت في تونس عقب زوال دولة الموحدين(6). وتميز هذا العصر بكونه فترة نهضة علمية وثقافية؛ حيث أولى الحفصيون اهتمامًا كبيرًا بالعلوم، سواء كانت دينية أو عقلية، وعملوا على تأسيس المدارس والمكتبات، مما خلق بيئة خصبة للتعلم والازدهار الفكري (7). وقد قدم الأبي إلى مدينة تونس في سن مبكرة، واستقر فيها، متخذًا من مدرستي الشماعية(8) والتوفيق(9) مركزًا له لتلقي العلم. وقد تأسست مدرسة الشماعية على يد أبي زكريا ابن عبد الواحد بن أبي حفص عام 633 هـ، وسُميت بذلك لموقعها في سوق الشماعين. أما مدرسة التوفيق فقد أسستها الأميرة عَطْف، زوجة أبي زكريا يَحْيى الأول، وخصصت لها أوقافًا واسعة لإقامة الدروس.

ودرس الأبي على يد نخبة من علماء عصره، وكان أبرزهم الإمام ابن عرفة، الذي لازمه وأخذ عنه العلم حتى أصبح من أبرز تلاميذه. لِما كان للأبي من مكانة علمية، فقد تولى رئاسة العلوم الشرعية بعد وفاة شيخه الإمام ابن عرفة. ودرس على يد علماء عصره (10)، وأشارت المصادر إلى أن الإمام الأبي قرأ على عدد من علماء تونس وغيرهم (11)، ومن أبرزهم:

1. **محمد بن عرفة الورغمي التونسي (ت 803 هـ):** يُعد أبرز شيوخه وأكثرهم تأثيرًا فيه. كان الإمام ابن عرفة شيخًا للعلماء والفتوى في المذهب المالكي، وبارعًا في الأصول، والفروع، والعربية، والمعاني، والبيان، والقراءات، والفرائض، والحساب، وقد انقطع ابن عرفة للاشتغال بالعلم والتدريس بجامع الزيتونة، وله مؤلفات هامة مثل "تقييده" الكبير في المذهب و"تفسيره" للقرآن العظيم(12). لازمه الأبي وأخذ عنه العلم حتى أصبح من نُبَغاء تلاميذه والمقربين إليه، وتولى رئاسة العلوم الشرعية من بعده(13).
2. **أبو بكر بن الحسين المراغي (ت 816 هـ):** هو زين الدين، الشافعي، نزيل المدينة المنورة. وقد أجاز الأبي بمروياته، أي: سمح له برواية ما سمعه من أحاديث وعلوم. عُرف المراغي بكونه من علماء الحديث والتاريخ، وله مؤلفات منها تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة في تاريخ المدينة(14).
3. **أَحْمد بن أَبى بكر بن أَحْمد بن على بن إِسْمَاعِيل،** المعروف بـابْن الرسام، هو شيخ إمام فاضل توفي سنة 841 هـ. كان ابن الرسام صاحب مناصب قضائية رفيعة؛ حيث تولى منصب قاضي القضاة في حماة ثم وُلي قضاء حلب، وقد زار الشام والقاهرة مرارًا. من مؤلفاته المعروفة: تحفة العابد فِي فضل بتاء الْمَسَاجِد، وكتاب تَنْبِيه الغافلين الحيارى

---

(1) نظم العقيان في أعيان الأعيان 177/1، والتقييد الكبير للبسيلي 552/1، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 182/11 نيل الابتهاج بتطريز الديباج 487/1 الأعلام للزركلي 115/6 التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا 302/1 تبصير المنتبه بتحرير المشتبه 31/1 الحاوي للفتاوي للسيوطي 252/2 شجرة النور الزكية في طبقات المالكية 351/1 قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات 116/1 سلم الوصول إلى طبقات الفحول 137/3.

(2) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع 169/2. وتراجم المؤلفين التونسيين 37/1، 82/2. التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا 302/1 موسوعة الأعلام -الأوقاف المصرية 2/1

(3) معجم البلدان، الحموي 85/1.

(4) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 91/6، وتراجم المؤلفين التونسيين 37/1، 82/2. التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا 302/1

(5) تبصير المنتبه بتحرير المشتبه 31/1.

(6) الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، مجموعة من المؤلفين 140/14.

(7) موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي 6/ 111.

(8) ينظر: مقدمة نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد 45/1، والموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي مجموعة من المؤلفين 111/6. التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا 303/1

(9) مقدمة نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد 46/1، وتراجم المؤلفين التونسيين 37/1.

(10) التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا 303/1 تراجم المؤلفين التونسيين 38/1.

(11) نيل الابتهاج بتطريز الديباج 488/1، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية 351/1، ولوامع الدرر في هتك أستار المختصر 177/1. موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين 11/ 25/1.

(12) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب 331/2، والوفيات لابن قنفذ 379/1، وذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد 236/1، وبغية الوعاة 229/1، ودرة الحجال في أسماء الرجال 280/2، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج 463/1

(13) نيل الابتهاج بتطريز الديباج 488/1، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية 351/1، ولوامع الدرر في هتك أستار المختصر 177/1. موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين 11/ 25/1

(14) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة 340/8 الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 28/11 الدر المنظوم من كلام المصطفى المعصوم 64/1 كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون 378/1

على مَا ورد من النهى عَن التَّشَبُّه بالنصارى. وقد سمع منه الأبي الحديث، وهو ما يُشير إلى استفادة الأبي منه في مجال الرواية والسنة النبوية(15).

وقد أخذ عن الإمام الأبي عدد من العلماء البارزين الذين كان لهم تأثير كبير في مجالات الفقه والحديث والتفسير والعلوم العقلية، ومن أهمهم:

1. **ابن كُحَيْل (ت. 869 هـ):** كان عالمًا مالكيًا تونسيًا، تخصص في العلوم العقلية، حيث أخذ عن الأبي عُلوم المنطق والكلام. من أبرز مؤلفاته "المقدمات" في الفقه و"عون السائرين" في التصوف(16).
2. **ابن ناجي (ت. 838 هـ):** هو فقيه وحافظ مالكي من القيروان، جمع علمه من شيخ الأبي ابن عرفة ومن الإمام الأبي نفسه. له شروح مهمة على رسالة ابن أبي زيد القيرواني والمدونة، مما يدل على تمكنه في فقه المالكية(17).
3. **الثعالبي المفسر (ت. 876 هـ):** يُعد إمامًا مالكيًا ومفسرًا شهيرًا، وأبرز مؤلفاته تفسير "الجواهر الحسان في تفسير القرآن". قرأ على الإمام الأبي متونًا أساسية في علوم السنة والفقه، منها صحيح مسلم والمدونة، وغيرها من المتون العلمية(18).
4. **عمر القلشاني (ت. 847 هـ):** كان إمامًا وحافظًا بارزًا، متميزًا في الفقه والأصول والمنطق. له شروح على مختصر ابن الحاجب ورسالة "دقائق الفهم". تولى مناصب دينية مرموقة كـالقضاء وخطبة جامع الزيتونة في تونس(19).
5. يحيى العجيسي (ت. 862 هـ): نشأ في بجاية (الجزائر حاليًا)، ودرس في تونس على يد كل من ابن عرفة والأبي. برع في علوم متعددة، وانتقل لاحقًا إلى القاهرة حيث اشتغل بالتدريس والتأليف. من مؤلفاته المعروفة شرح على ألفية ابن مالك في النحو(20).

ثناء العلماء، ومذهبه، ومؤلفاته، ووفاته:

حظي الإمام الأبي بتقدير عالٍ وثناء كبير من معاصريه والعلماء الذين جاءوا من بعده، مما يدل على مكانته الرفيعة في العلم، خاصة في العلوم العقلية والأصول والحديث:

شيخه ابن عرفة: ميّز الأبيّ بحدة الفهم وقوة العقل، فقال عنه: "كيف أنام وأبا بين أسدين: الأُبّيّ بفهمه وعقله، والبُرْزُلِيّ(21) بحفظه ونقله"(22).

الحافظ ابن حجر العسقلاني: وصفه بـ"الأصولي، عالم المغرب بالمعقول"(23)، وهذا تأكيد على براعته في علم أصول الفقه والعلوم العقلية (المنطق والكلام).

والإمام التنبكتي: وصفه بعبارات جامعة للمحاسن العلمية، فقال: "الإمام العلامة المحقق المدقق البارع الحافظ الحاج الرحلة"(24)

الإمام الشوكاني: وصفه بأنه "كانَ عالما محققا..." (25)، مما يؤكد منزلته في تحقيق المسائل العلمية والتدقيق فيها.

مذهبه:

كان على المذهب المالكي(26)، لكنه لم يتردد في عرض آراء المذاهب الأخرى وترجيحها إذا كانت أقوى دليلًا، مثل ترجيحه وجوب الوضوء من أكل لحم الإبل، مخالفًا بذلك رأي الجمهور(27).

وللأبي عدة مؤلفات، منها:

أنجز الإمام الأبي عدة مؤلفات تعكس عمق علمه في الفقه والتفسير والعلوم الشرعية، إضافة إلى توليه مناصب علمية وقضائية رفيعة، فمن مؤلفاته:

---

(15) المقصد الارشد 80/1 الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 249/1 شذرات الذهب في أخبار من ذهب 367/9 هدية العارفين 126/1

(16) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 137/2 نيل الابتهاج بتطريز الديباج 126/1 الأعلام للزركلي 230/1 معجم المؤلفين 123/2.

(17) نيل الابتهاج بتطريز الديباج 364/1، 1و488/وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية 352/1، وتراجم المؤلفين التونسيين 14/5

(18) نيل الابتهاج بتطريز الديباج

(19) ثبت أبي جعفر أحمد بن علي أبو جعفر البلوي 312/1. إيضاح المكنون، الباباني 475/3، وهدية العارفين، الباباني 793/1. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 137/6، ومسامرات الظريف بحسن التعريف 37/1.

(20) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 232/10، ونظم العقيان في أعيان الأعيان 177/1، ومعجم أعلام الجزائر 230/1

(21) البُرْزُلِيّ هو أبو القاسم بن أحمد بن محمد البلوي البرزلي (ت. حوالي 841 هـ)، وهو أحد أئمة المالكية الكبار في بلاد المغرب ونزيل تونس، ووُصف بـشيخ الإسلام وصاحب الفتاوى. لازم شيخه الإمام ابن عرفة نحو أربعين عامًا. كان يُضرب به المثل في قوة الحفظ والنقل، من أبرز مؤلفاته كتابه القيم: "جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا للمفتين والحكام". الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 11 / 133، والأعلام للزركلي 172/5، وشجرة النور ص 245.

(22) نيل الابتهاج بتطريز الديباج 488/1، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية 351/1، ولوامع الدرر في هتك أستار المختصر 177/1. موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين 11/ 25/1

(23) تبصير المنتبه بتحرير المشتبه 31/1.

(24) نيل الابتهاج بتطريز الديباج 487/1

(25) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع 169/2

(26) نيل الابتهاج بتطريز الديباج 487/1

(27) منهج الأبي في شرح صحيح مسلم وأوجُه العلاقة بينه وبين أصله شرح المازري ص 315.

تفسير القرآن العظيم: هذا الكتاب هو في الأصل تقييد لمجالس تفسير شيخه ابن عرفة، ويُعد أكمل الروايات وأدقها لتفسير شيخه(28).
شرح المدونة: هو شرح لكتاب "مدونة سحنون"(29)"، لكن لم يُعثر على أي نسخة من هذا الشرح حتى الآن.
شرح مختصر ابن الحاجب الفقهي(30): أيضًا، هذا الشرح على أحد أهم متون الفقه المالكي لم يُعثر عليه.

وتجلّت مكانة الإمام الأبي العلمية الرفيعة من خلال مسيرته المهنية التي عكست عمق علمه ونفوذه، حيث تولى العديد من المناصب الهامة؛ فقد تصدّر للتدريس في أبرز مدارس تونس، وتولى إمامة جامع التوفيق، كما مارس مهنة القضاء. وبلغ الأبي ذروة المناصب العلمية في عصره بوصوله إلى منصب الفتوى في تونس عام 808 هـ، والذي يُعد أعلى مرجع علمي وشرعي حينذاك(31).

وقد تُوفي الإمام الأبي في تونس. وعلى الرغم من اختلاف المؤرخين في تحديد سنة وفاته(32)، فإن الراجح أنه توفي عام 828 ه(33)-. وكانت وفاته في فترة حكم السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز، الذي عُرف بكونه ملكًا جليلًا وعادلًا، واستمر حكمه ما بين 796 هـ و837 ه(34).

المطلب الثاني: التعريف بكتاب "إكمال الإكمال":

يُعد كتاب "إكمال إكمال المعلم" للإمام الأبي حلقة مهمة ضمن سلسلة الشروح المغربية لصحيح مسلم، التي بدأت بشرح المازري، ثم القاضي عياض"(35).

"المُعْلِم" للمازري و"إكماله" للقاضي عياض:

- **"المُعْلِم بفَوَائِدِ مُسْلِم" للمازري:**

مؤلفه هو محمد بن علي التميمي المازري (ت 536 هـ)، وهو فقيه مالكي من صقلية(36)، ولم يكن شرحه في الأصل مقصودًا ككتاب متكامل، بل كان عبارة عن تعليقات وفوائد يمليها على طلابه في دروسه، لم يلتزم بترتيب الأحاديث، واقتصر على شرح الأحاديث التي رآها مهمة، مع التركيز على الأحكام الفقهية وتفسير غريب الألفاظ(37)، وقد وصفه ابن خلكان بأنه "شرح صحيح مسلم شرحًا جيدًا"(38)، وقال ابن خلدون إنه "اشتمل على عيون من علم الحديث وفنون من الفقه"(39).

- **"إكمال المعلم" للقاضي عياض:**

مؤلفه هو القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت 544 هـ)، وهو أحد أئمة الحديث(40)، ألف كتابه استكمالًا لشرح المازري(41)، مضيفًا ما رآه ناقصًا ومفصلاً ما أجمله المازري، وقد اهتم بشرح مقدمة صحيح مسلم، ووضع ترجمة للإمام مسلم. اعتمد على مصادر عديدة مثل التمهيد لابن عبد البر ومعالم السنن للخطابي، وتجنب الإطالة حيثما كان شرح المازري كافيًا(42).

- **"إكمال إكمال المعلم" للإمام الأُبي:**

اشتهر الكتاب باسم "إكمال إكمال المعلم" ونُسب إلى الإمام الأبي بالإجماع من قبل علماء كالسخاوي(43) وحاجي خليفة(44).ومحمد مخلوف"(45)، وعمر كحالة(46)، وقد سَمّى الأبي كتابه بنفسه في مقدمته بهذا(47) الاسم.

---

(28) نيل الابتهاج بتطريز الديباج 488/1، وتراجم المؤلفين التونسيين 39/1، والتفسير والمفسرون في غرب أفريقيا 303/1، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة 2082/3.
(29) نيل الابتهاج بتطريز الديباج 487/1
(30) سلم الوصول إلى طبقات الفحول 137/3 شجرة النور الزكية في طبقات المالكية 351/1.
(31) التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا 303/1 تراجم المؤلفين التونسيين 38/1
(32) نيل الابتهاج بتطريز الديباج 488/1.
(33) نيل الابتهاج بتطريز الديباج 488/1، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع 169/2، وديوان الإسلام 73/1 وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية 351/1، ومعجم المؤلفين 2/9.
(34) نيل الأمل في ذيل الدول المَلَطي، 359/4، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول 137/3
(35) منهج الإمام محمد بن يوسف السنوسي في عرض علمي الحديث واللغة من خلال كتابه "مكمل إكمال الإكمال" ص 200، و202.
(36) تاريخ الإسلام 11/ 661، والوافي بالوفيات 4/ 110.
(37) إكمال المعلم بفوائد مسلم 72/1.التكملة لكتاب الصلة 312/2مقارنة بين شروح كتب السنة الستة 2/3
(38) وفيات الأعيان 285/4.
(39) تاريخ ابن خلدون 560/1.
(40) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس 437/1، وتهذيب الأسماء واللغات 43/2، وسير أعلام النبلاء 215/20.طبقات علماء الحديث 80/4
(41) سير أعلام النبلاء 215/20، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون 555/1
(42) مقارنة بين شروح كتب السنة الستة 6/3، وإكمال المعلم بفوائد مسلم 35/1، والمعلم بفوائد مسلم 202/1.
(43) نيل الابتهاج بتطريز الديباج 487/1.
(44) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون 555/1.
(45) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية 1/ 351.
(46) معجم المؤلفين 9/ 287:
(47) مقارنة بين شروح كتب السنة الستة 10/3.

وتكمن أهمية كتاب "إكمال إكمال المعلم" للإمام الأبي في النقاط التالية:

1. الكتاب هو شرح وافٍ لصحيح مسلم , الذي يُعد ثاني أصح كتب السنة، كما أنه مرجع غني في الفقه المالكي، متجاوزًا مجرد الشرح الحديثي(48).
2. يتميز بأنه جامع لأقوال الشراح الأربعة الكبار: المازري، وعياض، والقرطبي، والنووي، مع إثراء ذلك بآراء الأبي وتحقيقاته الخاصة، واستفادته من علم شيخه ابن عرفة(49).
3. لا يقتصر الكتاب على كونه شرحًا للحديث فقط، بل يمكن اعتباره مرجعًا في الفقه، خاصة في مذهب الإمام مالك(50).
4. أن الإمام الأبي كان يتمتع بمعرفة واسعة في العديد من العلوم الشرعية، فلم يقتصر علمه على فن واحد، بل كان متمكنًا في عدة فنون من فنون العلم الشرعي (51).

قال القسنطيني عن شرح الأبي: " هو خزانة علم ينفق منه الفقير كيف يشاء من نحو وتصريف وأصول وفروع وكلام ومصطلح وميزان، وتاريخ ومعان وبيان وحقائق وإشارات ومناقب ورقائق ومواعظ وقواعد إلى غير ذلك"(52).

وقد حظي كتاب "إكمال إكمال المعلم" بتقدير بالغ وثناء كبير من كبار العلماء، مما يؤكد على جودته العلمية ومنزلته بين شروح الحديث(53):

السّخاويّ: أشاد بمنهج الأبي الجامع، قائلاً: "جمع فيه بين المازري وعياض والقرطبي والنووي مع زيادات مفيدة..."(54).

التنبكتي: وصف الشرح بـ"في غاية الجودة ملأه بتحقيقات بارعة وزيادة حسنة نافعة"(55).

السنوسي: أكد على تميزه في الجمع والشمول، قائلاً: "من أحسن شروح صحيح مسلم وأجمعها"(56).

قال القسنطيني: "وشرحه يغني عن شروحهم الأربعة ولا تغني عن شرحه لما فيه من الأبحاث الرائقة، والتحقيقات الفائقة..."(57).

ولأهمية الكتاب فقد قام أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف السنوسي الحسيني المتوفى سنة (895 ه-1490م)(58)، وقد اختصره في كتاب اسمه: "مكمل إكمال الإكمال"، يقول السنوسي: "... وكان من أحسن شروح صحيح مسلم فيما علمت وأجمعها شرح الشيخ العلامة أبي عبد الله الأبي، ... فاختصرت في هذا التقييد المبارك معظم ما في هذا الشرح الجامع من الفوائد. وضممت إليه كثيرا مما أغفله مما هو كالضروري لا كالرائد وأكملته أيضا بشرح الخطبة ... فتم النفع -والحمد لله تعالى-بشرح جميع ما في الكتاب، وجاء بفضل الله تعالى مختصرا يقنع أو يغني عن جميع الشروح، وما فيها من تطويل أو مزيد إطناب، فهو جدير -إن شاء الله تعالى-أن يسمى لذلك بمكمل إكمال الإكمال"(59).

المبحث الثاني: مفهوم الصفات الخبرية، ومنهج الأبي فيها:

تمهيد: مفهوم الصفات الخبرية وموقف السلف منها.

تن**قسم صفات الله عز وجل في العقيدة الإسلامية لعدة تقسيمات، منها تقسيمها بحسب الدليل (صفات خبرية وعقلية):**

أولًا: تعريف الصفات العقلية:

الصفات العقلية هي الصفات التي يثبتها العقل لوجوبها في حق الله تعالى، مثل: العلم، القدرة، الإرادة، الحياة، السمع، البصر، والكلام. هذه الصفات يُدرك العقل ضرورتها لكمال الذات الإلهية، ويستحيل نفيها عن الله(60).

ثانيًا: تعريف الصفات الخبرية

الصفات الخبرية هي الصفات التي ورد إثباتها في النصوص الشرعية (القرآن والسنة) دون أن يدل عليها العقل استقلالًا، مثل: الوجه، اليدين، الاستواء، النزول، الضحك، وغيرها. يُثبتها أهل السنة كما جاءت، دون تأويل أو تعطيل(61).

---

(48) منهج الأبي في شرح صحيح مسلم وأوجُه العلاقة بينه وبين أصله شرح المازري ص 302.

(49) التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا 303/1، ,تراجم المؤلفين التونسيين 38/1 مقارنة بين شروح كتب السنة الستة 10/3.

(50) منهج الأبي في شرح صحيح مسلم وأوجُه العلاقة بينه وبين أصله شرح المازري ص 303.

(51) منهج الأبي في شرح صحيح مسلم وأوجُه العلاقة بينه وبين أصله شرح المازري ص 302.

(52) تراجم المؤلفين التونسيين 38/1

(53) تراجم المؤلفين التونسيين 38/1.

(54) نيل الابتهاج بتطريز الديباج 487/1.

(55) نيل الابتهاج بتطريز الديباج 488/1

(56) مكمل الإكمال 24/1.

(57) تراجم المؤلفين التونسيين 38/1

(58) الإمام محمد بن يوسف السنوسي (أبو عبد الله) هو عالم تلمسان وصالحها في عصره، وهو من العلماء الحسنيين الذين اشتهروا بكثرة تصانيفهم في علوم الحديث والعقيدة؛ حيث ألف في الحديث كتاب "مكمل إكمال الإكمال" لاستكمال شرح الأبي على صحيح مسلم، وله في العقيدة مؤلفات شهيرة مثل "عقيدة أهل التوحيد" (الكبرى) و"أم البراهين" (الصغرى). ثبت أبي جعفر أحمد بن علي 436/1، معجم أعلام الجزائر 180/1، والأعلام للزركلي 154/7.

(59) مكمل الإكمال 24/1

(60)"شرح العقيدة الطحاوية"، ابن أبي العز الحنفي، 1/ 75.

(61)"الصفات الإلهية في الكتاب والسنة"، محمد بن خليفة التميمي، 1/ 45.

ثالثا: منهج الأشاعرة:

منهج الأشاعرة في الصفات: يثبتون الصفات العقلية السبع فقط: الحياة، العلم، الإرادة، السمع، البصر، القدرة، والكلام. أما الصفات الخبرية، فيؤولونها غالبًا، مثل تأويل "اليد" بالقدرة، و"الوجه" بالذات، أو يفوضون معناها دون إثبات ظاهرها بزعم عدم مشابهة الله للمخلوقين(62).

رابعًا: موقف السلف من الصفات الخبرية:

أهل السنة والجماعة يثبتون جميع الصفات الإلهية التي وردت في الكتاب والسنة، سواء كانت عقلية يدركها العقل لوجوبها في حق الله، أو خبرية ثبتت بالنقل الصحيح، على الوجه الذي يليق بجلال الله وكماله، من غير تحريف لمعانيها، ولا تعطيل لألفاظها، ولا تكييف لكيفيتها، ولا تمثيل لها بصفات المخلوقين. فهم يثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ، مثل صفة "اليد" و"الوجه" و"النزول"، ويقولون في ذلك: نؤمن بها كما جاءت، ونفوض علم كيفيتها إلى الله، لأن الله ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير. ويؤمنون بأن هذه الصفات حق، وأنها تدل على كمال الله، ولكنهم لا يخوضون في كيفيتها، ولا يشبهونها بصفات البشر، بل يثبتونها إثباتًا منزّهًا عن النقص والتشبيه"(63).

وللسلف قاعدتان مهمتان، وهما:

القاعدة الأولى: القول في الصفات كالقول في الذات:

فمن أثبت لله ذاتًا لا تشبه ذوات المخلوقين، وجب عليه أن يثبت له صفات لا تشبه صفات المخلوقين. فكما أن لله ذاتًا تليق به، فكذلك له صفات تليق به، من غير تمثيل ولا تكييف(64).

القاعدة الثانية: القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر:

فمن أثبت بعض الصفات لله، كالعلم والقدرة، وجب عليه أن يثبت باقي الصفات، كالمجيء والضحك، بنفس المنهج. فلا يصح إثبات بعضها وتأويل بعضها الآخر، لأن الصفات كلها من جنس واحد، وتثبت بلا تشبيه ولا تعطيل(65).

فهاتان القاعدتان هما من أعمدة منهج السلف في باب الأسماء والصفات، وهما رد على المتكلمين الذين فرقوا بين الصفات العقلية والاختيارية.

مثال تطبيقي:

الصفة الأولى (مُتفق على إثباتها): صفة العلم، يثبتها الجميع لله تعالى، ويقولون: "نثبت أن الله عليم بكل شيء، لكن علمه لا يشبه علم المخلوقين، ولا نعلم كيفيته".

الصفة الثانية (يؤولها بعض المتكلمين): صفة الاستواء، فيقول بعضهم: "لا يمكن أن يكون الله مستويًا على العرش، لأن الاستواء يدل على الجهة أو المكان، وهذا لا يليق بالله"، فيؤولونه بـ"الاستيلاء".

الرد وفق القاعدة: نقول لهم: كما أثبتم صفة العلم لله من غير تشبيه ولا تكييف، فكذلك يجب أن تثبتوا صفة الاستواء من غير تشبيه ولا تكييف. فالله استوى على العرش كما يليق بجلاله، لا كاستواء المخلوق، كما أن علمه لا كعلم المخلوق(66).

وهذه بعض المقولات عن السلف:

قال الإمام أبو حنيفة: "وَله يَد وَوجه وَنَفس كَمَا ذكره الله تَعَالَى فِي الْقُرْآن فَمَا ذكره الله تَعَالَى فِي الْقُرْآن من ذكر الْوَجْه وَالْيَد وَالنَّفس فَهُوَ لَهُ صِفَات بِلَا كَيفَ وَلَا يُقَال إِن يَده قدرته أَوْ نعْمَته لِأَن فِيهِ إِبْطَال الصّفة وَهُوَ قَول أهل الْقدر والاعتزال وَلَكِن يَده صفته بِلَا كَيفَ وغضبه وَرضَاهُ صفتان من صِفَات الله تَعَالَى بِلَا كَيفَ"(67).

وقال الإمام مالك: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"(68).

الإمام الأوزاعي: "كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله على عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من الصفات(69)."

قال الإمام الأشعري في كتابه الإبانة عن أصول الديانة: إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: نقول: إن الله يستوي على عرشه استواء يليق به من غير طول استقرار، كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه: الآية 5]...(70).

وقال الأشعري: قال الله تبارك وتعالى:﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[القصص: 88]، وقال تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 27]، فأخبر أن له سبحانه وجها لا يفنى، ولا يلحقه الهلاك. وقال تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: 14]، وقال تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: 37]، فأخبر تعالى أن له وجها وعينا ولا تكيَّف ولا تحد.

- يتضح من هذا العرض أن السلف الصالح قد أثبتوا الصفات الخبرية كما وردت في النصوص، مع تنزيه الله عن مشابهة خلقه، دون تأويل أو تعطيل.

---

(62)"المواقف"، المؤلف: عضد الدين الإيجي، 120/3.
(63) "التدمرية"، شيخ الإسلام ابن تيمية، 1/ 20.
(64) مجموع الفتاوى، ابن تيمية 3/ 25
(65) شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية، الشيخ محمد بن خليل هراس، ص 9
(66) مجموع الفتاوى، ابن تيمية 3/ 25
(67) الفقه الأكبر، أبو حنيفة 1/ 27.
(68) التمهيد، ابن عبد البر 7 / 145.
(69) الأسماء والصفات -البيهقي 304/2
(70) الإبانة عن أصول الديانة 105/1

المطلب الأول: منهج الأُبي في الصفات الذاتية الخبرية.

1. الوجه:

قال الأبي في شرحه لحديث-حجابه النور-: "ثم الوجه: أن أريد به الذات، كما يقوله الجويني، فإضافة السبحات إليه - وهي النور-إضافةُ خَلْقٍ، كما في حديث: "أعوذ بنور وجهك"، وفي قوله تعالى: { اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ } [سورة النور:35]. والهاء من (بصره) عائدة على الخَلْق، فالمعنى: لو كشف الله سبحانه ذلك النور، لأحرق من الخَلْق جميعَ من رآه منهم. وإن أريد به الصفة، كما يقوله الأشعري، فالمراد بها الذات، لا سيما على القول بانقسام الصفات، وأن منها ما هو نفس الذات. وإن أريد به الجهة، حَسُنَ أيضاً أن يقال: لأحرقت السبحات، أي: الأنوار التي في الجهة التي ينظر إليها الخَلْق. وهذه كلها وجوه حسنة يستقيم معها الكلام".

هنا يعرض الأبي الأوجه التأويلية المختلفة لصفة "الوجه" عند المتكلمين، فالوجه الأول (طريقة الجويني): "أن أريد به الذات". هذا هو صريح التأويل، حيث يُفسَّر "الوجه" بـ"ذات الله" ، والوجه الثاني (طريقة الأشعري): "فالمراد بها الذات". الوجه الثالث: (الجهة التي يُقصد بها).

لذلك، يمكن القول إنه يتبنى مذهب تأويل صفة الوجه بالذات، وهذا التأويل يعتبره السلف نفياً للمعنى الذي أثبته الله لنفسه. والله أعلم(71).

فالوجه من صفات الله الذاتية الثابتة له تعالى بدلالة الكتاب والسنة وإجماع السلف. قال الله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [سورة الرحمن، 27]. ومذهب أهل السنة والجماعة أن لله وجه لا كالوجوه، يليق به ولا يشبه وجوه المخلوقين كذلك: "أن اللفظ الموضوع بمعنى لا يمكن أن يستعمل في معنى آخر إلا إذا كان المعنى الأصلي ثابتاً للموصوف، حتى يمكن للذهن أن ينتقل من الملزوم إلى لازمه"(72).

وفي حديث أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه-عن النبي ﷺ في وصف الله تعالى (حجابه النور) وفي رواية: "النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه"(73).

والنصوص في إثبات الوجه من الكتاب والسنة لا تُحصى كثرة. غير أن السلف قد أجمعوا على إتيان الوجه لله تعالى، بدون تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل. وهو وجه حقيقي يليق بالله تعالى.

قال الإمام ابن خزيمة رحمه الله تعالى: (ونحن نقول وعلماؤنا جميعاً في جميع الأقطار والإكرام لمعبودنا جل وجهه، كما أعلمنا في محكم تنزيله، فـ(ذو) (74) الجلال والإكرام، وحكم له بالبقاء، ونفي عنه الهلاك). ونقول: (إن لوجه ربنا عز وجل من النور، والضياء، والبهاء ما لو كشفت حجابه لاحترقت في الدنيا الفانية)(75).

فالواجب: إثبات الوجه على حقيقته كما يليق بالله تعالى. وقول الإمام المراد بالوجه الذات وغيرها من التأويلات قول مردود ويرده عليه ابن القيم في ذلك: «لا يعرف في لغة من لغات الأمم وجه الشيء، بمعنى ذاته ونفسه»(76).

2. العين:

قال الأبي في شرحه لحديث-إنه ليس بأعور، وأن الدجال أعور العين اليمنى -: " هو تنبيه على وصف الدجال بسمات الحدوث وتنزيه الله سبحانه وتعالى عنها. والمشهور أن الدجال أعور العين اليمنى، ورُوي اليسرى..." (77)

إذاً، بناءً على طلبك بالتركيز على رأي الإمام الأُبّي (أبو عبد الله محمد بن خلفة الأُبّي المالكي شارح صحيح مسلم)، يمكن شرح العبارة كالتالي:

وتفسير العبارة حسب منهج التأويل المتبع لدى الإمام الأُبّي، تنبيه على وصف الدجال بسمات الحدوث وتنزيه الله سبحانه وتعالى عنها" يُقصد به أن الصفة التي أثبتها الله لنفسه في الآيات الأخرى (كالعين) لا تحمل المعنى الحرفي للجارحة العضوية؛ لأن ذلك من سمات الحدوث والنقص. وبالتالي، يكون نفي العَوَر وسيلة لبيان نفي الجارحة وما يطرأ عليها من عيوب تحقيقاً لمبدأ التنزيه المطلق.

فصفة العين من صفات الله تعالى الذاتية الثابتة بالأدلة الصحيحة الصريحة من الكتاب والسنة، وآمن بها السلف، وأثبتوها لله عز وجل على الوجه الذي يليق به من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تعطيل، ولا تأويل(78)

فعن النبي ﷺ قال: "ما بعث الله من نبي إلا أنذر قومه الأعور الكذاب، إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر"(79)

---

(71) إكمال إكمال المعلم 333/1

(72) شرح العقيدة الواسطية للهراس، ص (١١٤).

(73) رواه الإمام مسلم في صحيحه، (كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام: إن الله لا ينام) برقم: 179

(74)(فـ ذو) في قوله تعالى: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾.

(75) كتاب التوحيد وإثبات الرب لابن خزيمة ص (٢١/٢٢).

(76) مختصر الصواعق المرسلة ص (٣٨٦/٢).

(77) إكمال إكمال المعلم 324/1

(78) عقيدة السلف أصحاب الحديث، لأبي عثمان الصابوني، ص٤، ولواعج الأنوار البهية ص (٣٢٨-٣٤٠).

(79) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم الحديث 2933

فهذا نص صريح في إثبات العين لله تعالى، وفي نفي العور عنه تعالى، أن يُصاب بنقص، كما قال الإمام الدارمي: " فَفِي تَأْوِيل قول رَسُولِ الله ﷺ: «إِنَّ الله لَيْسَ بِأَعْوَرَ» بَيَانٌ أَنَّهُ بَصِيرٌ ذُو عَيْنَيْنِ خلاف الأَعْوَر"(80)

وقال أبو الحسن الأشعري: وأن له سبحانه عينين بلا كيف، كما قال سبحانه: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٤] (81).

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (وأجمع أهل السنة على أن العينين اثنتان، ويؤيده قول النبي ﷺ في الدجال: إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور...) (82)

3. صفة اليد:

وعلق الأبي على حديث- حْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا، خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَنَّةِ. فَقَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى، اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ - بقوله: " معنى "خط" كتب، واختلف في "اليد" وما في معناها من الجوارح التي وردت ويستحيل نسبتها إلى الله سبحانه وتعالى، فذهب كثير من السلف إلى أنه يجب صرفها عن ظاهرها المحال ولا تُتأوّل، ويُصرف علمها إلى الله سبحانه وتعالى، وهي من المتشابه. وتأوّلها الأشعري وناس من أصحابه، وحملوها على أنها صفات لا نعلمها، وتأوّلها قوم على ما تقتضيه اللغة، واليد في اللغة تُطلق على القدرة والنعمة، فكذلك ههنا..." (83)

فالإمام هنا يحكي أن هناك مذهبان في صفة اليد، ولأهل السنة والجماعة في صفة اليد إثباته لله وغيره من الصفات منهج واحد فقط، وهو إثبات بلا تشبيه، والتنزيه بلا تعطيل كما تقدم بيانه، وأما قوله الإمام بما أن المراد منها غير ظاهرها، قول مجانب للصواب، بل الصواب هو إثبات الصفات وإجراءها على ظاهرها، وأما تأويله اليد على القدرة، ما هو إلا امتداد لمذهب المعتزلة، الذين ينفون الصفات، أو يؤولونها على القدرة وغيرها. أما أهل السنة والجماعة فإنه يد حقيقة تليق بجلاله وعظمته، ولا يقولون تستلزم إثباتها التجسيم، وهذا التأويل فاسد، لأنه مخالف لظاهر اللفظ، وإجماع السلف، وليس عليه دليل(84).

وحتى لو فرض مجيء اليد بمعنى القدرة -من باب تسمية الشيء باسم سببه، لأن القدرة هي التي تحرك اليد -لكن لا يجوز إطلاق هذا المعنى إلا في حق من اتصف باليد على الحقيقة، ولذلك لا يقال للهذ، ولا يَد المدّ(85).

فالواجب إثبات اليد على ظاهرها، إذ لا موجب لصرفها عن ذلك(86).

وقد جاءت النصوص الكثيرة في الكتاب والسنة بإثبات اليد لله عز وجل، فقد قال الله تعالى: قال تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء} [سورة المائدة:64].

وقد تواترت في السنة ورود لفظ "اليد" في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، كحديثه عليه الصلاة والسلام: "إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل" (87)

وكذلك حديثه صلى الله عليه وسلم: "إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك وسعديك، والخير في يديك..." (88)

فهذه النصوص وظاهرها المفهوم منها: أن لله تعالى يدين، مختصتان به، ذاتيتان له، تليق بجلاله(89).

وأجمع أهل السنة والجماعة على إثبات اليدين لله تعالى، فيجب إثباتهما بدون تحريف ولا تكييف ولا تمثيل، وهما يدان حقيقتان له لله تعالى، تليقان به(90).

وقال أبو الحسن الأشعري: وأن له سبحانه يدين بلا كيف، كما قال سبحانه:﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[ص: ٧٥](91).

المطلب الثاني: منهج الأبي في الصفات الفعلية الخبرية:

1. صفة الضحك.

وعلق الأبي على حديث-فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ اللهُ مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ قَالَ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ -بقوله: " الضحك حالة تغير يوجبها سرور يغلب، فتنبسط له عروق القلب فيجري فيها الدم، فيفيض إلى سائر عروق الجسد، فتثور لذلك حرارة ينبسط لها الوجه، وينقبض عنها الفم، وينفتح وهو التبسم. فإذا زاد السرور وتمادى، ولم يضبط الإنسان نفسه قهقهةً.

---

(80) رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص ٤٢-٤٣.
(81) الإبانة عن أصول الديانة - ت فوقية ٢٢/١
(82) عقيدة أهل السنة والجماعة للشيخ محمد العثيمين ص ١٢.
(83) إكمال إكمال المعلم 85/7
(84) التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية للشيخ عبد الله الجبرين ص -165–178، وأيضًا المحاضرات السنية في شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية بشرح الشيخ ابن عثيمين ص 261–291.
(85) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (-6/-370).
(86) نفس المصدر (-6/-370).
(87) رواه مسلم في صحيحه، (كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت)، حديث رقم 2759.
(88) رواه مسلم في صحيحه، (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها)، حديث رقم 2829.
(89) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (6/ 362–363)
(90) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (42/3 وما بعدها)، عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ص 77، شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين ص -48، وعقيدة أهل السنة والجماعة له ص 13.
(91) الإبانة عن أصول الديانة - ت فوقية ٢٢/١

وكل هذا على الله سبحانه وتعالى مُحال (م). فيؤول الضحك بإظهار الرضا والنعمة على هذا العبد، والضحك نفسه الظهور. ضَحِكت الأرض، ظهر نباتها. وفي الحديث..." (92)

خطأ الأبي في هذا التأويل نابع من قياس ضحك الخالق على ضحك المخلوق، وهو قياس فاسد، لأن صفات الله تعالى تليق بجلاله وكماله، ولا تشبه صفات خلقه، كما قال أهل السنة: "نثبت ما أثبته الله لنفسه من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل"(93).

فالضحك في الحديث يُثبت لله على وجه يليق به، من غير تشبيه ولا تمثيل، كما قال الإمام مالك: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"(94). وكذلك يُقال في الضحك: هو معلوم المعنى، لكن كيفيته مجهولة، ونؤمن به كما جاء، من غير تأويل ولا تعطيل(95). فأهل السنة والجماعة يثبتون هذه الصفة لله تعالى على المعنى الذي يليق به سبحانه وتعالى من غير تشبيه لها بضحك المخلوق، ولا تأويل لها على خلاف ظاهرها(96).

وخالف الإمام الأبي أهل السنة والجماعة في هذه الصفة أيضاً، فتأولها على خلاف ظاهرها بالرضى وهو قول مبني على الظن والقول على الله بلا علم. والضحك صفة فعلية اختيارية ثبت وصف الله بها في أحاديث نبوية صحيحة، ذكر بعض أهل العلم أنها بلغت حد التواتر(97). ولقد أطال الإمام الدارمي في الرد على من يؤول ضحك الرب جل وعلا برضاه، أو رحمته، أو صفحه عن الذنوب، أو إضحاكه بعض مخلوقاته، وبين رحمه الله -أن في هذه التأويلات تكذيباً لهذه الأحاديث التي وردت بإتيان الضحك الله تعالى، ثم سرد -بسنده -مجموعة طيبة من تلك الأحاديث(98).

2. صفة الغضب:

وعلق الأبي على حديث الشفاعة الكبرى بقوله: " (قوله غضب اليوم غضباً): (ع) غضب الله سبحانه انتقامه من المغضوب عليه، أو إرادته الانتقام منه، ويرجع إلى صفة الفعل أو صفة الذات..." (99)

فالأبي لم يثبتها على حقيقتها كما أثبتها أهل السنة والجماعة، بل أولها، فجعلها راجعة إلى صفة الإرادة؛ لئلا تشابه صفة المخلوق.

وهذه الصفة من صفات الله الفعلية العقلية الثابتة الله بنصوص الكتاب والسنة الصحيحة

قال الله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُور} [سورة الممتحنة:13].

- وبهذا يكون الإمام قد وافق الأشاعرة في تأويل هذه الصفات وإرجاعها إلى الإرادة خلاف لأهل السنة والجماعة.

وقد رد ابن العثيمين هذا التأويل بكلام يحسن ذكره في هذا المقام:

1. أن الغضب صفة حقيقية لله تليق بجلاله، ولا تماثل غضب المخلوقين لا في الحقيقة ولا في الأثر، لقوله تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾.
2. أن من الفروق الأساسية بين غضب الخالق والمخلوق: في حقيقة الصفة: فغضب المخلوق: غليان دم القلب وغليان داخلي (نقص). وغضب الخالق: صفة لا تماثل ذلك، فهي صفة كمال تدل على تمام القوة والسلطان، وغضب المخلوق: تترتب عليه آثار غير محمودة (كقتل، أو طلاق، أو كسر)، وغضب الخالق: لا يترتب عليه إلا آثار حميدة وموزونة؛ لأنه حكيم، ففعله المناسب يقع في محله.
3. أن الدليل على الفرق بين الغضب والانتقام: قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾[الزخرف: ٥٥]، حيث أن "آسَفُونَا" تعني "أغضبونا". الآية جعلت الانتقام أثراً مترتباً على الغضب، مما يدل على أن الغضب غير الانتقام ولا يجوز تأويله به(100).

3. صفة الإتيان والمجيء:

جاء شرح الأبي: لقوله: فيأتيهم الله في صورة لا يعرفونها: (د). اختلف في الآي والأحاديث المتشابهة؛

فمعظم السلف أو كلهم، وجماعة من المتكلمين، أنها تُصرف عن ظاهرها المحال، ويُصرف علم تأويلها على ما يليق إلى الله تعالى. ومعظم المتكلمين على أنها تُصرف عن ظاهرها المحال، ثم تُؤوَّل على ما يليق، والأول أسلم. قلتُ: قال في الإرشاد: الأولى التأويل؛ لأن في عدمه استدلالًا للعوام، وأنت تعرف أن الإتيان حركة وانتقال، والصورة تُشعِرُ بالتركيب، وكلٌّ على الله سبحانه محال. فهذا الآتي أولًا ليس الله سبحانه لاستعادتهم منه. فالصورة خلقٌ من خلقه سبحانه امتحن بها عباده المؤمنين، ومعنى إتيانه بها: بعثها، كقوله تعالى: (أو يأتيهم الله بعذاب من عنده)؛ أي يبعث الله لهم صورةً يمتحنهم

---

(92) إكمال إكمال المعلم 341/1
(93) مجموع الفتاوى ٤٣٢/٨
(94) الجامع لمسائل المدونة ٤٣/٢٤
(95) ماذا تعرف عن الله ٥٠/١ شرح العقيدة الواسطية للهراس ص (١٦٦ - ١٦٧).
(96) شرح العقيدة الواسطية للهراس ص (١٦٦ - ١٦٧).
(97) انظر : مقدمة شرح العقيدة الواسطية، تحقيق علوي بن السقاف ص (٤١ - ٤٢).
(98) رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص (١٧٤ - ١٨١).
(99) إكمال إكمال المعلم 363/1
(100) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ٤١٩/٩

بها، فتقول تلك الصورة (د)، أو يتخرج على حذف مضاف، أي: فيأتيهم أحد ملائكة الله تعالى، ويقول لهم ذلك الملك أو تلك الصورة: أَنَا رَبُّكُمْ؟ فيستعيذون منها، لما يَرَوْنَ عليها من سمات الحدوث، لعلمهم أنه سبحانه ليس كمثله شيء(101).

فالأبي وقع في تأويل صريح للحديث، بناءً على قاعدة عقلية فاسدة، وهي أن الإتيان والحركة والصورة لا تليق بالله، لأنها تدل على الحدوث والتركيب، وهذا قياس صفات الخالق على المخلوق، وهو باطل، والله تعالى يقول:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[الشورى: 11] فالإتيان والمجيء لله تعالى ثابتان في نصوص كثيرة، منها قوله تعالى:﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا ﴾[الفجر: 22] وقد أثبت السلف هذه الصفات على الوجه اللائق بالله، من غير تشبيه ولا تعطيل.

أما تأويل الأبي بأن "الصورة" مخلوقة، أو أن الآتي هو ملك من الملائكة، فليس عليه دليل من الحديث، بل الحديث صريح في أن الله هو الذي يأتيهم، لكن في صورة لا يعرفونها، ثم يُعرفهم بنفسه في النهاية، فيسجدون له. فالحديث لا يدل على حدوث أو تركيب، لأننا لا نعلم كيفية صفات الله، ولا يجوز أن نقيسها على صفات البشر. والقول بأن الصورة مخلوقة أو أن الآتي ملك، فيه تحريف للفظ الحديث، وهو خلاف ظاهر النص، وخلاف ما عليه السلف.

قال ابن تيمية: والأحاديث المتواترة عن النبي ﷺ في إتيان الرب يوم القيامة كثيرة، وكذلك إتيانه لأهل الجنة يوم الجمعة، وهذا مما احتج به السلف على من ينكر الحديث فيبينوا له أن القرآن يصدق من هذا الحديث(102).

الخاتمة: النتائج والتوصيات

بعد استقراء ودراسة منهج الإمام الأُبي في التعامل مع نصوص الصفات الخبرية في شرحه "إكمال إكمال المعلم"، تبيّن لنا بوضوح المسلك الذي اعتمده، والذي يعكس المدرسة العقدية التي ينتمي إليها. وفيما يلي أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها البحث:

أولاً: أهم النتائج:

1. أثبت البحث أن الإمام الأُبي، بصفته من متأخري علماء المالكية في تونس، قد غلب عليه المنهج الأشعري في معالجة نصوص الصفات الخبرية، وهو منهج قائم على التفويض الإجمالي والتأويل التفصيلي.
2. سلك الأُبي مسلك التأويل الصريح لبعض الصفات الذاتية الخبرية، فـأوّل صفة "الوجه" بـ "الذات"، عارضًا أقوال المتكلمين في ذلك، وأوّل صفة "اليد" بـ "القدرة أو النعمة"، مع تفضيله طريقة التفويض على التأويل أحياناً، لكنه ذكر التأويل كخيار متبع.
3. التأويل للصفات الفعلية الاختيارية: كان منهجه تأويلياً في الصفات الفعلية، فـأوّل صفة "الضحك" بـ "إظهار الرضا والنعمة"، معللاً ذلك بأن الضحك بمعناه الحقيقي يستلزم التغير وهو محال على الله. وأوّل صفة "الغضب" بـ "إرادة الانتقام" أو "الانتقام" نفسه، مرجعاً إياها إلى صفة الإرادة أو صفة الفعل، موافقاً بذلك منهج الأشاعرة في تأويل الصفات الانفعالية، وأوّل صفة "الإتيان والمجيء" بـ "إتيان ملك أو بعث صورة مخلوقة"، بناءً على قاعدة عقلية تُحيل الحركة والانتقال على الله.
4. أكد البحث على تأثر الأُبي الواضح بمنهج الإمامين المازري والنووي، حيث كان يعرض أقوالهم في التوفيق بين ظاهر النص ومقتضيات التنزيه العقلي كما يراها أهل الكلام.
5. قدم الإمام الأُبي حججاً وتعليلات كلامية صريحة لرفض المعنى الظاهر للصفات، مرتكزاً على قياس صفات الخالق على صفات المخلوقين ونفي ما يستلزمه ذلك من التغير أو الحدوث أو التركيب.

ثانياً: التوصيات:

بناءً على نتائج البحث، يوصي الباحث بما يلي:

1. ضرورة إفراد منهج الإمام الأُبي العقدي في سائر أبواب العقيدة (كالقضاء والقدر، والإيمان) بدراسات مستقلة ومعمقة للكشف عن جوانب منهجه الأخرى.
2. إجراء دراسة مقارنة بين منهج الأُبي ومنهج شُرَّاح صحيح مسلم الذين سبَقوه (كالمازري وعياض) ومنهج من تلاه، لتحديد درجة استقلالية منهجه في الشرح.
3. التأكيد على أهمية نشر منهج السلف الصالح في إثبات الصفات الخبرية على ظاهرها اللائق بالله، مع التنزيه عن مشابهة المخلوقين، كمنهج أسلم وأعلم وأحكم.

والله تعالى أعلم وأحكم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

(101) إكمال إكمال المعلم 363/1

(102) مجموع الفتاوى ٣٧٤/٥